

بوكو حرام .. حلال !! د ممدوح المنير



السبت 13 فبراير 2010 12:02 م

13/02/2010

*د ممدوح المنير

لم تكن مشاهد القتل الوحشي التي يمارسها الجيش النيجيري بحق المدنيين العزل و التي بثتها قناة الجزيرة سوى عملية (كشف) عن الشق الغاطس من الأزمة الكبيرة التي تعيشها نيجيريا عامة و الأغلبية المسلمة خاصة .

و حتى تتضح ملامح الأزمة الحالية دعونا نسترجع الماضي القريب و البعيد ، لعل و عسى أن نفهم حقيقة ما يحدث هناك .

دخل الإسلام نيجيريا في أوائل القرن العاشر الميلادي على يد فقهاء الأندلس ، وقامت قبائل الهوسا التي تنتشر قى الشمال الغربى الأفريقي بدور كبير فى نشر الإسلام هناك و خاصة فى شمال و وسط نيجيريا ، حتى تكونت فى عام 1804 م

((خلافة سوكتو)) قادها عثمان دانفودو و التي وحد بها شمال نيجيريا بكامله تحت رايته و حُكم الشريعة الإسلامية فى جل شئون الخلافة الإسلامية الجديدة واستقر لها الأمر بشكل كبير فى عام 1893 م .

فى حين ظل الجنوب يمثل المسيحيون فيه نسبة كبيرة من مجمل السكان وإن كان المسلمين لهم تواجد هناك و لكنه أقل عددا (تعداد السكان حاليا 150 مليون نسمة يمثل المسلمون منهم أكثر من 65 %) .

ثم كانت الطامة الكبرى و التي نشأت بمقدم الإحتلال البريطانى فى عام (1900) ، ليعيث فسادا و بطشا فى الدولة الإسلامية الناشئة حتى إنتهى به الأمر بإحلال القوانين البريطانية محل الشريعة الإسلامية فى كافة المعاملات حتى تحولت الشريعة إلى شيء من التراث بنهاية الإحتلال !! .

بعد ذلك حرص الإحتلال البريطانى - عندما أوشك على الرحيل (1960) - على إعطاء المسيحيون نفوذ كبير فى البلاد إلى حد جعل رئيس الدولة مسيحي يحكم أغلبية مسلمة !! ، و لك أن تتخيل حجم النفوذ المسيحي فى كافة مؤسسات الدولة إذا كان الرئيس ذاته مسيحي .

ظلت أوضاع المسلمين فى نيجيريا تتجه للأسوء ، نتيجة المصادمات العنيفة التي كانت تحدث بين الدولة و المواطنين المسلمين الذى يطالبون بحقوقهم المسلوبة سواء فى إدارة الدولة أو فى الخدمات المقدمة لهم فضلا عن تحكيم الشريعة الإسلامية ، كما فاقم من حدة التوترات وجود (250) قومية و عرقية و قبيلة يغلب على الكثير منها الإلتواء القبلى والعرقى عن الإلتواء للدولة ككل .

بعد ذلك حدث تغير نوعى عام 1999 م بانتقال الحكم من العسكر إلى المدنيين و بدأ تطبيق القانون الفيدرالى و الذى يقضى بالسماح للولايات بتطبيق القوانين الخاصة بها مما سمح للولايات الشمالية بالبدأ فورا فى تطبيق الشريعة الإسلامية حتى أصبحت هى القانون الأساسى لجل الولايات الشمالية تقريبا (أكثر من 12 ولاية شمالية طبقت الشريعة) ، مما أثار حفيظة المسيحيين خشية أن تمتد المطالبات بتطبيق الشريعة إلى الولايات ذات الثقل النسبى للمسيحيين بها ودارت مواجهات دامية بين الطرفين .

لم تكن الأسباب الدينية أو القبالية فحسب هى المسببة للتوتر ، و لكن الفساد الهائل المستشري فى كافة مؤسسات الدولة والذى جعلها من أكثر دول العالم فسادا واحتكارا للثروة و السلطة فى يد فئة محدودة للغاية ، أضف إلى ذلك الفقر الشديد و المدقع لأغلب السكان (أكثر 100 مليون نسمة تحت خط الفقر !!) رغم أن نيجيريا هى أكبر منتج و مصدر للنفط فى أفريقيا !! بل تعد مصدرا أساسيا و حيويا للنفط للدول الكبرى مثل الولايات المتحدة و بريطانيا وهذا أيضا جعلها ساحة لصراعات و تدخلات الدول الكبرى للسيطر على النفط بها .

كان طبيعيا إذن أن تنشأ جماعة مثل بوكو حرام (Boko Haram) - معناه بلغة الهوسا (تحريم التربية الغربية)وسط هذه الأجواء من الفقر و الجهل و الصراعات الطائفية و القبالية و الفساد المستشري ، فمعظم أفرادها طلبة لم يتسنى لهم إكمال تعليمهم حتى لقبوا بطلالان نيجيريا !! و هى جماعة ترفض قيم الحضارية الغربية

التي يراد فرضها على اهالى نيجيريا خاصة فى الولايات المسلمة و تسعى لمحاربة الغزو الثقافى الغربى الذى يضغط بشدة على المجتمع النيجيرى ومع حدة الجذب الطائفى و اشتداد حملات التنصير بشكل صريح لحد تعليق لافتات فى شوارع المدن ذات الأغلبية المسلمة تدعو للتنصير المباشر ، تحركت بوكو حرام محاولة فرض الشريعة الإسلامية كما تراها هى ، فبدأت فى مهاجمة مقرات الشرطة و الإشتباك مع السلطات فحدثت مصادمات دامية خسر فيها الجميع بوكو حرام و الدولة و المواطنين الذين قتلوا بلا ذنب أو جريرة .

قد تكون المبررات التى انطلقت منها الجماعة لها وجاهتها من شدة الفساد و الإستبداد و الفقر و المرض و التنصير و التغريب ، لكن المؤكد أن أسلوب الصدام مع الدولة بهذا الشكل ، ليس له سند من عقل أو شرع أو منطق فهى مواجهة خاسرة بكل تأكيد .

على الطرف الآخر تعتبر ما قامت به السلطات النيجيرية من جرائم القتل بدم بارد بحق أعضاء الجماعة دون تفكير فى الدخول معها فى حوار و دون محاكمات دليل على حجم الإستبداد و الطغيان الجائم على صدور المجتمع النيجيرى ، مما يزيد من إحتتمالات تسارع و تيرة العنف هناك ، خاصة بعد إعلان بوكو حرام إنضمامها لتنظيم القاعدة ، مما يجعلها مستباحة تماما من قبل الجميع السلطة و المجتمع و الدول الكبرى .

يبقى الحل فى تدخل العقلاء هناك أصحاب المنهج الإسلامى الوسطى مثل جماعة تعاون المسلمين فى محاولة لرأب الصدع بين الطرفين بمطالبة السلطة هناك بالتوقف عن جرائمها فى حق المواطنين و بوكو حرام بمحاولة تصحيح الفكر المتطرف المسيطر عليها .

أكثر ما يحزن المرأ أن ما يحدث فى نيجيريا هو مشهد مما تحياه الأمة جميعا نفس السيناريو والإنتاج و المشاهد بل حتى نفس الأبطال ربما الفرق الوحيد هو الضحية و مكان التصوير !! ، قد يكون المكان فلسطين ، العراق ، أفغانستان ، اليمن الخ ... فمتى نفيق من ثباتنا العميق ؟!! .

كاتب ومدون مصري